للتواصل rb-Opinion@alriyadh.com

خادم الحرمين شخصيّة عالميّة مرموقة

بدر بن عبد الكريم السعيد*

■ إن اختيار خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله ولأكثر من مرة من الشخصيات العالمية المرموقة، فقد جسّدت مجلة فوربس الأمريكية الشهيرة مجدداً أنّه حفظه الله من الشخصيات الأولى الأكثر نفوذاً في العالم وذلك لما استندت إليه تلك المجلة من استطلاع بالغ الدقّة لدوره البارز الكبير وجهوده الجبّارة بالمنجزات التنموية الكبرى والإصلاحات والأعمال الإنسانية، فالمبادرات المتميّزة لخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز وفقه الله وتوجهاته في التواصل الفكري والحوار المعرفي الثقافي بين الأمم والتقريب بين الشعوب وسعيه الحثيث لكل ما فيه أمن وسلام واحترام للإنسانية جمعاء، فقد أطلق: (الحوار بين جميع الأديان السماوية) وأنشأ جائزة عالمية باسم: (جائزة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمية للترجمة)، ودعوته إلى إقامة: (مركز دولي لمكافحة الإرهاب) ومبادراته الإنسانية السخية في كل العالم في مد يد العون والمساعدة للمحتاجين والفقراء والمساكين والمنكوبين من المحن الزلازل، والفيضانات... ودعمه للقضايا التي تهم العالم العربي والإسلامي.. جعلت منه شخصية ذات نفوذ عالمي! وذات وزن دولي كبير قلّ نظيرها في التاريخ الحديث. إنّ تفوقكم وتبوأكم هذه المكانة البارزة عالمياً ياخادم الحرمين الشريفين يفخر بها العرب والمسلمون.

"حفظكم الله سيدي وأمدّ في عمركم وسددّ على الخير خطاكم"

*الهيئة الملكية بالجبيل

كنتُ في حملة حج

أ.د. حمد بن ناصر الدخيِّل

■ أول مرة أؤدي شعيرة الحج ضمن حملة؛ فقد كانت حجاتي السابقة قبل تنظيم حجات الداخل في حملات، واخترتُ من الفئات المصنفة أعلاها؛ لتصوري أن حجاج هذه الفئة يتوافر لهم من وسائل الراحة والتيسير في أداء مناسك الحج ما لا يتوافر لبقية الفئات. وكنت أمني النفس مع كثيرين من زملاء الحملة أن نقضي أيام الحج في أماكن مريحة، تعيننا على أداء نسك الحج في حيوية ونشاط. لن أتحدث عما كان خارج السيطرة والاحتواء كالازدحام في الشوارع والطرقات والمواقف والمشاعر، وبطء الوصول إلى الهدف؛ لأن هذه الأمور عامة يشترك في المعاناة منها جميع الحجاج، وإنما سأتحدث عن وجوه التقصير التي بإمكان صاحب الحملة والمسؤول عنها أن يتلافاها؛ لو لم يكن الحصول على أكبر قدر ممكن من الربح، مع أقل قدر من النفقة مقدماً لديه على ما ينبغي أن يوفره من خدمات التيسير التي يلزمه أداؤها وفقاً للفئة التي صنفت عليها حملته.

كان من أولى علامات التقصير بعد أداء نسك العمرة وقوف حافلات الحملة في المسخوطة، وهي مكان بعيد عن الحرم، وكان علينا أن نصل إلى حيث تقف الحافلات بالطريقة التي تتيسر لكل فرد، فمنا من ركب دراجة نارية، ومنا من استأجر عربة تدفع باليد، والأكثر ساروا على أقدامهم عبر النفق الطويل الذي يمتد من مواقف فندق أجياد مكارم إلى المسخوطة، وكان النفق مزدحماً بالحافلات الكبيرة التي تنفث الدخان بكثافة لا تقوى مراوح الشفط والتنقية على إزاحته، وكانت رائحة السولار المحترق في هذا الجو الخانق لا تطاق، آذت الصدور والأنفاس، وجددت أمراض الربو والحساسية، وزكمت الأنوف، ولم نجد منذ البداية مرشداً يرشدنا إلى موقف الحافلات، فكنا نسأل المارة، ووصلنا الحافلات فرادى متفرقين كفلول جنود فروا من معركة خاسرة.

وصل كل فرد لا تكاد قدماه أن تحملاه من شدة الإجهاد والإرهاق. لم يكن هناك تنظيمٌ للحملة، وكان بإمكان الحافلات أن تقف في المواقف الواقعة في بداية النفق؛ فقد رأينا حافلات بعض الحملات تقف في هذا المكان، أو توفير حافلات صغيرة لنقل حجاج الحملة عبر النفق، وتوفر لهم جهداً بذلوه، ووقتاً أنفقوه في سير طويل عبر النفق مع ما كانوا يعانونه من تعب وسهر.

وكان المقر الذي اختير للحملة في منى مفاجأة أصابتنا بالصدمة، عبارة عن أرض مستطيلة، تقع النزل، أو ما يسمونها بالخيام على جوانبها يمنة ويسرة، ويفصل بينها ممشى ضيق، لا يتجاوز عرضه متراً وربع المتر، وليس في المقر ساحة كافية للجلوس، أو الصلاة، أو لتناول الطعام، ما عدا غرفة واحدة مستطيلة تشبه غرف النزلاء في حجمها وشكلها، أعدت للصلاة والجلوس وتناول الطعام جلوساً على الأرض.

والغرف أو الخيام المخصصة للنزلاء تبدو مستطيلة، من ذلك النوع الذي تستحي أن تستقبل فيه أحداً من ضيوفك، صفت في كل غرفة أو خيمة على امتداد ضلعيها المستطيلين عشرون سريراً من دون فواصل، هي أشبه بسرر الأطفال طولاً وعرضاً، يمكن أن تطوى فتصبح مقاعد للجلوس، وبدت متلاصقة؛ حتى إن النزيل لا يجد موضعاً يضع فيه حاجاته الشخصية التي يحتاج إليها في كل وقت، كالنظارة، والهاتف، والدواء... وإذا مدت السرر غطت أرضية الغرفة، حتى لتبدو سريراً واحداً، والداخل أو الخارج يمر عبر ممر ضيق جداً بين صفي الأسرة لا يتسع لقدميه، فيصطدم بأقدام النائمين، وقد خرج بعضها من السرير لقصره. والغرف كلها مصمتة، ليس فيها نوافذ، والباب فتحتها الوحيدة، وخلت من الخزانات لوضع الحقائب والملابس، واستعيض عنها بشبك حديدي ثبت فوق الأسرة بمسافة وعلى مدارها، وبات طوال المدة يمثل خطراً على النائمين والجالسين خوفاً من سقوطه بما يحمله من حقائب ثقيلة. وإذا أردت غرضاً من الأغراض من حقيبتك عليك أن تصعد فوق السرير، وتنزل الحقيبة، وتأخذ منها ما تريد، ثم ترفعها بثقلها إلى حيث تستقر فوق سريرك، وكم من مرة في اليوم تمضيه بين خفض ورفع!

والمكيفات الموضوعة فوق الغرف أو الخيام هي من ذلك الصنف الذي يركب في حظائر الدجاج، ويصدق عليها المثل العربي (أسمع جعجعة ولا أرى طحْناً)، صوت عال مزعج، يطرد النوم من ذهن المتعب، تغفو المكيفات أحياناً فيتقلب المرء بين حَرٍّ وبرد.

والنساء أكثر حظاً فيما حظين به من متاعب، فقد عانين معاناة قاسية؛ لأنهن محبوسات، لا يتصرفن كالرجال، فالمكان المخصص لهن لا يضم سوى الغرف أو الخيام التي فرشت بالأسرة، وحرمن من تخصيص مكان للصلاة والجلوس وتناول الطعام، وإذا أرادت إحداهن أن تصلي طلبت من جارتها أن تطوي سريرها حتى تتوفر مساحة لتأدية الصلاة، وبقيت خيامهن طول المدة خارج خدمة النظافة، وأمضين معظم الأوقات في جوّ حار خانق، فالكهرباء دائمة الانقطاع، وكلما جأرن بالشكوى أو تذمرن، ليس من حل سوى ما ترديه المشرفة من كلمة: احتسبن، احتسبن، لفظة استعملت في هذا المقام لغير هدفها السامي.

عشرون شخصاً كنزوا في غرفة أو خيمة واحدة صغيرة، هل يستطيع المرء أن ينال أقل قسط من الراحة في غرفة صغيرة يقيم بها عشرون فرداً؟! هل يتمكن من أن يخرج سليماً معافى من هذا المكان الذي هيئت فيه جميع أسباب المرض والعدوى؟! لقد استقبلت الحملة أكثر من طاقة المخيم أضعافاً؛ فحشر الحجاج في الغرف حشراً، فضاقت بهم الغرف، وضاق بهم المكان، وتعذر على الجميع أن يصلوا جماعة دفعة واحدة، أو دفعتين، أو ثلاث في المكان الضيق المعد للجلوس والصلاة، والطعام، اضطررنا لكثرة الأفراد أن نصلي في الممرات الضيقة وفي الغرف صلوات افتقدت الراحة والطمأنينة، وافتقدت تأدية أفعال الصلاة وأقوالها على الوجه المطلوب.

أما وقت وجبة الطعام فتمثل مشهداً سيبقى محفوراً في الذاكرة، أنظرُ إلى الجميع وقد تفرقوا بصحونهم، فبعضهم افترش قاعة الصلاة والجلوس، وأمامه وجبته، وبعضهم افترش سريره، وبعضهم وضعوا صحونهم على الجدار القصير المشرف على الشارع، ويتناول طعامه واقفاً، ويسرح نظره في جموع الحجاج، وهم في حركة دائبة، وآخرون وضعوا صحونهم على ثلاجة في ممر، وينظر إليهم آخرون حتى يفرغوا من طعامهم؛ ليحتلوا أمكنتهم. ولم يكن الطعام المقدم يغري الآكلين، أو يساعد على فتح الشهية، فاللحوم ليست طازجة، والخبز من نوع رديء، ويقدم بارداً كأنما أخرج من ثلاجة، ونظرك لا يخطئ ذبابا وقع على الأطعمة المكشوفة.

وهذه الأعداد الكثيرة من البشر رجالاً ونساء تحتاج إلى أكثر من طبيب، بل تحتاج إلى عيادة مصغرة تعالج حالات المرض الحادثة وما أكثرها! ولكنني لم أر طبيباً في جميع الغرف أو الخيام التي يضمها المكان. وقيل لي: إن في الحملة طبيباً، ولكن ليس لديه أدوية، واضطررت أن أبحث عنه بعد أن أصبت بعدوى الزكام والتهاب الحلق، وأرشدت إلى مكانه، فألفيته يقبع في بيت الدرج، مكان منزوٍ ضيق لا يدخله الداخل بقامته، ورأيت أمامه كرتوناً صغيراً فيه بقايا مسكنات من حبوب، فقلت له: كيف ترضى بهذا المكان وأنت طبيب؟! فقال لي: خاطبهم؛ ليغيروه، فسألته: وأين المضادات الحيوية؟، فأجاب: لا يوجد عندي إلا بعض المسكنات، ودفع لي حبتين منها. وكان أحدنا مصاباً بجرح حريق بالغ في ظهر قدمه، فراجعه يطلب علاجه فلم يجد لديه سوى المسكن، أين المطهرات والمعقمات والمراهم، والقطن والشاش، والأربطة؟ طبيب رضي بذل المكان، ورداءة العمل في سبيل دراهم يسيرة، فلا أعتقد أن صاحب الحملة سيعطيه راتباً مجزيا وهو على هذه الصفة من الطمع والتقتير.

أما المكان المخصص للحملة في مزدلفة، فيضرب به المثل في السوء ضيقاً وقذارة ونقص خدمات وسوء تنظيم؛ فقد أمضينا في مزدلفة ليلة ليلاء، لم يغمض لنا جفن، ولم ننعم براحة، ولم نهنأ بطعام ولا شراب، ولم نجد مكاناً نريح فيه أجسامنا المتعبة المكدودة؛ فالمكان مساحة صغيرة ضاقت كثيراً عن أن تتسع لأفراد الحملة رجالاً ونساء، فاضطر كثيرون أن يفترشوا الشارع، وتمدد بعضهم على أي صفة كانت من فرط الإعياء والتعب، وكنا أكثر حاجة إلى دورات المياه بعد رحلة من المشي وسط جموع الحجيج، فوجدنا شبه دورات قليلة تعلوها الأوساخ والقاذورات لا ماء فيها ولا كهرباء، مضى عليها زمن لم تنظف ولم تستخدم، ولم يكلف صاحب الحملة عماله بتهيئتها، وتزويدها بالماء والكهرباء قبل قدوم الحملة، وهو يدرك أننا في أشد الحاجة إلى الحمامات للوضوء وغيره. وبحثنا عن الماء للوضوء فوجدناه في خزان معدني (تانكي)، لا تصل إلى الحنفية لتأخذ حاجتك من الماء في علبة (قوطي) أو إداوة إلا بعد أن تغوص قدماك في الطين المشبع بالماء (رطارط: كلمة عامية فصيحة) وتبحث عن مكان للوضوء، فلا تجد مكاناً إلا أرضاً ترابية علاها الدرن. أما وجبة العشاء فكانت من نوع الفطائر الباردة التي تباع في التموينات، قدمت لنا في علبة ورقية (كرتون) فتركتها كما كانت. وفي هذا الوضع المزري اضطر عدد كثير من أفراد الحملة رجالاً ونساء أن يغادروا المكان بعد الساعة الثانية عشرة ليلاً إلى منى.

ولم يكن في برنامج صاحب الحملة تفويض أفراد الحملة بعد التحلل الأول؛ ليؤدوا طواف الإفاضة (طواف الحج)، والسعي (سعي الحج)، فاضطر بعضهم أن يسعى إلى المسجد الحرام على حسابهم؛ لتأدية شعيرتي الحج، وكنت أحدهم.

وموظفو الحملة تجردوا من أي عاطفة إنسانية؛ ففي اليوم العاشر رغبت امرأة من جنسية عربية تعمل طبيبة أن تؤدي هي ووالدتها طواف الإفاضة، وسعي الحج، وكانت الوالدة كبيرة السن، مقعدة، لا تقوى على المشي، تحمل على عربة تدفع باليد، فخرجتا من المخيم ظهراً على أملٍ أن تجدا سيارة تقلهما إلى الحرم، وأمضتا وقتاً طويلاً في البحث، والتنقل من مكان إلى آخر، فتاهتا، ولم تستطيعا أن تذهبا إلى الحرم، ولا أن تعودا إلى المخيم، ولم تجدا أحداً يرشدهما إليه، فاتصلتا هاتفياً بالمخيم، فرد عليهما أحد الموظفين (أحتفظ باسمه)، وعينتا له مكان وجودهما، وطلبتا منه أن يبعث إليهما من يدلهما على المخيم، فماذا كان جوابه؟ قال لهما: دبروا أنفسكم، وأغلق السماعة، ولم تعودا إلى المخيم إلا في آخر الليل، وكانتا على حالة بائسة من التعب النفسي والجسدي، وبعد أن بلغتا المخيم انخرطت الابنة في بكاء مؤثر؛ تألماً لما حصل لهما، وتأثراً من الموقف السيئ الذي وقفه موظف الحملة من امرأتين عاجزتين، في حاجة ماسة إلى الإسعاف والمساعدة في هذا الظرف القاسي.

وكان الذين يتولون إرشاد الحملة في المشاعر من الصبيان الصغار الذين لا خبرة لديهم، يمسك أحدهم باللوحة الإرشادية، ثم ينطلق بها سريعاً يلحق به من يلحق، ويتخلف من يتخلف، وكان الذين يتخلفون عن المسيرة أكثر بسبب الزحام الشديد، فيهتدون في الوصول إلى الهدف بسؤال الآخرين. وموظفو الحملة وعمالها تجدهم بعد الساعة الواحدة طرحى بين الكراسي التي كانوا يجلسون عليها بعد أن أمضهم السهر والتعب ساعات كثيرة، فلم يكن لهم غرفة خاصة يأوون إليها، ويأخذون قسطاً ولو يسيراً من الراحة، فكأنهم جردوا من الإنسانية، فلم يعاملوا معاملة البشر.

في أثناء إقامتنا في المشاعر منى وعرفة ومزدلفة كنتُ أتوقع مرور مفتشين من وزارة الحج؛ لتفقد أوضاع الحملات، والتأكد من تطبيق الشروط المقررة حسب الفئات، ومقابلة بعض الأفراد؛ لإبداء ما لديهم من ملحوظات وآراء؛ للاستفادة منها في تلافي جوانب النقص والتقصير، والرفع من مستوى الخدمات المطلوبة مستقبلاً، ولكنني لم أر شيئاً من ذلك، ولم أسمع به.

يجب عدم إغلاق محطات الوقود وخدماتها بالطرق الدولية والسريعة وقت الصلاة!!

د. إبراهيم بن عبدالله المطلق

■ قصة كتابة هذا المقال إنني كنت في سفر أنا وصديقي واحتجنا محطة الوقود لخدمة ضرورية وحاجة ماسة ومستعجلة فصادف وقوفنا عند المحطة وقت إحدى الصلوات وإذا بالمحطة مغلقة وجميع الخدمات كذلك والطريق دولي وسريع فقال صاحبي أغلقوا للصلاة جزاهم الله خيرا فحصل بيني وبينه حوار بل مشادة كلامية قلت له أن ديننا دين سماحة وتيسير ورفع للمشقة ونحن الآن في سفر وقد جمعنا الصلوات فلم ننتظر ٤٥ دقيقة أو ساعة حتى تفتح المحطة وخدماتها ولحساب من؟ ولو افترض أن لدينا رحلة الطيران ربما تفوتنا من يعوضنا وكيف نصل لوجهتنا وماذا سيلحق بنا من الضرر ؟!

وقلت له نعم في المدن الكبرى أوافقك يجب الإغلاق للصلاة وإن كنت أميل أيضا لضرورة مراعاة شريحة من السكان ممن لا تلزمهم صلاة الجماعة ذكورا أو إناثا بأعذار شرعية وإلزام المؤسسات التي يحتاجها المواطن على مدار الساعة وربما يكون هناك ضرورة قصوى بوضع مناوبات بحيث يصلي بعضهم والآخرون يقومون بالخدمة ثم يقوم الآخرون بالخدمة ويذهب هؤلاء للصلاة ومنها المحطات التي في الطرق السريعة والدولية . محطات الطرق السريعة يرتادها بنسبة كبيرة جدا مسافرون لا مقيمون والمسافر قد يسر الله عليه بأن رخص له جمع الصلاة تقديما أو تأخيرا ويضطر المسافر حينما يحتاج للوقود أو تناول وجبة غذائية للانتظار ما لا يقل عن ٤٥ دقيقة وقت الصلاة ولو احتاج مرة أخرى انتظر مثل ذلك فهل هذا الإجراء من سماحة ديننا وشريعتنا الميسرة ؟

لا جدال في أهمية الصلاة وإقامتها في المساجد للرجال وضرورة التأكيد على ذلك والعمل به والتوعية المستمرة وتفعيل دور الهيئة في هذا المجال فهو من ثوابت ديننا وشريعتنا ودولتنا قامت على هذه الثوابت وحفظتها وحافظت عليها .

الجدال في تنطع البعض بتحريم ما لم يحرمه الله تعالى فصاحبي أفتى بقوله لا يجوز قلت له دليلك من الكتاب أو السنة فلزم الصمت !!

نبينا صلى الله عليه وسلم لم يخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما أو قطيعة رحم وحينما بعث صلى الله عليه وسلم معاذا وأبا موسى إلى اليمن قال لهما عليه السلام " يسرا ولا تعسرا " وفي الحديث الآخر إنما بعثتم ميسرين وهو عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى ويعي ما يقول ويدعو إليه ويأمر به .

غالب من يرتاد الطرق السريعة مسافرون وفي رمضان يفطرون في رابعة النهار ولا يملك إنسان أن ينكر عليهم أو يجرمهم فلم نلزمهم بالصلاة وقد صلوا ولم نلزمهم بالإنتظار ساعات وبعضهم ربما الدقيقة الواحدة تهمه جدا وتأخره وربما يفوت عليه مصالح كثيرة ومنافع عدة.

أؤكد على ضرورة إلزام جميع المؤسسات الخدمية كمحطات الوقود والبنوك والمطاعم وغيرها بتكليف عدد من الموظفين بعضهم يذهب للصلاة والآخرون يقومون بالخدمة كما هو الحال بالنسبة للمطارات فلم أر يوما ما كاونترات موظفي الخطوط أو الجوازات أو غيرهم مغلقة للصلاة وحينما تذهب للصلاة تجد أولئك الموظفين يتوافدون في أوقات متفاوتة وكلهم يدرك صلاة الجماعة .! وحينما يحتج شخص ويقول من يقوم بالخدمة تفوته صلاة الجماعة يأتي الجواب بأن جماعات مساجد محطات الوقود بالطرق السريعة متتالية ومتواصلة كالمطارات فما تنتهي جماعة حتى تليها جماعة أخرى فيدرك الصلاة مع الجماعة الثانية ويؤدي الخدمة لمن لا تلزمهم الصلاة سواء رجالا أو نساء وعنصر النساء غير مطالبات بصلاة الجماعة وربما تضطر إحداهن للحاجة للبنك أو شراء حليب من الصيدلية لرضيعها الذي أحرق فؤادها ببكائه جوعا فلم نشدد عليها ونحرم عليها ما لم يحرمه الله ونهدر وقتها في الانتظار ونظلم رضيعها بدون وجه حق أو حجة أو دليل ؟

صيدليات الأدوية في نظري لا تقل أهمية عن غيرها مما أشرت إليه بل هي أهم بكثير ولذا أقترح أن يؤكد على جميع الصيدليات بعدم الإغلاق للصلاة وإبقاء بعضهم لصرف الأدوية حتى يصلي الآخرون .

أيضا لدينا شريحة كبيرة من المقيمين من غير المسلمين وليسوا كذلك مطالبين ولا ملزمين بصلاة الجماعة وربما تضطر أحدهم الحاجة العاجلة والماسة لدواء أو مطعم أو غيره فلم نشدد عليهم كذلك ؟! أليس التيسير وبيان سماحة هذا الدين من أساليب الدعوة إلى الله تعالى ودولتنا ومجتمعنا حملة لواء الدعوة إلى الله تعالى على المنهج الأسلم والأحكم فلم لا نرغب هؤلاء في ديننا الحنيف ببيان سماحته ويسره وعدم تكليفه ما لا يطاق ؟! طرقنا السريعة والدولية يرتادها مئات الألوف بل ملايين المسافرين سيما في مواسم الحج والعمرة وكما أسلفت هم يحتاجون للخدمات والكثير منهم لا تلزمه الصلاة لعذر شرعي فلم لا نعطي صورة حسنة لهؤلاء بسماحة مذهبنا وديننا فلا رهبانية مبتدعة لدينا ولا تنطع لم ينزل الله به سلطانا ولنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة وأسوة صالحة في ما نأتي ونذر !

والله من وراء القصد ،،،

أوقفوا.. هذه الأداة المخربة

أحمد الصالح

■ ظاهرة الشخبطة على الجدران هي بلا شك قضية قديمة لا تزال منتشرة في أغلب أمهات المدن بالعالم، حتى أن دولا متقدمة مثل إيطاليا وروسيا أقامت بعواصمها جدران خاصة (للشخبطة فقط) تُجددها كل عام .. والطريف في خطوتها تلك أنها لم تكن من أجل التنفيس عن شبابها السذّج أو إشباع رغباتهم بقدر ما هو وقاية وحماية لممتلكاتها العامة والخاصة .. لكن في مملكتنا الحبيبة تجاوزت هذه الظاهرة خاصة في السنوات القليلة الماضية حد الزبى .. لتصل إلى درجة تتنافى وتتعارض مع قيم ديننا الحنيف، تقاليد مجتمعنا المحافظ، أمن واستقرار وطننا.. ناهيكم عن إفساد المشهد العام لشوارعنا، طرقنا ومنتزهاتنا العامة أو حتى حجم ما تستنزفه من جيوب المواطنين وحسابات الدوائر العامة والخاصة لإعادة دهان ممتلكاتها.

ويرى الكثيرون - أنا من ضمنهم - أن من أبرز أسباب تفشي هذه الظاهرة في السنوات الأخيرة ببعض مدن المملكة ومنها مدينة حائل على سبيل المثال " ارتفاع معدلات الهجرة الداخلية إلى المدن الرئيسية خلال السنوات القليلة الماضية " وهذا ما تؤكده إحصائيات تعداد السكان الأخيرة لمدينة حائل حيث تجاوز عدد سكانها في أخر إحصاء رسمي ولأول مرة عدد سكان بقية مدن وقرى المنطقة .. لتتخطى معها الظاهرة في أبعادها الجدران وتشمل الأبواب، اللوحات الإرشادية ، الجسور، الكباري، أسوار المدارس، صفحات الجبال وكل مساحة متاحة تطولها يد عابث .. ليشخبط عليها ما يشاء من ألقاب غريبة وقذرة ، عبارات وشعارات وصور بعضها تثير الفتن وأغلبها يندى منها الجبين.

وقد يرى البعض - وهم بلا شك على حق - أن خطط الإصلاح للخلاص من هذه الظاهرة المقوتة تحتاج لتطبيق حملات مكثفة ، تربوية، توعوية وإرشادية بالمدارس ووسائل الإعلام ومن أعالي المنابر .. وأن جني ثمار مثل تلك الخطط قد يهدر الكثير من الطاقات ، المال ووقت لا يعرف مداه .. في حين أرى أن هناك وسيلة واحدة فقط تكفل بوضع حد لتلك الظاهرة البغيضة إن لم تقضي عليها .

لكن قبل ذكرها .. أود أن أذكّر القارئ الكريم وكل من يعنيه أو يخصه الأمر .. بأن بخاخ بوية واحد فقط لا يتجاوز سعره خمسة ريالات، وهو لا يزال متوفر في أغلب البقالات لكل من هب ودب دون رقابة .. كفيل بخراب العشرات من الممتلكات واستنزاف آلاف الريالات لإعادة ترميم ما خربه وأفسده دون وجه حق .. فما بالكم بما تفعله نسبة كبيرة من مئات البخاخات التي تباع بأسواق المملكة يوميا ! .

كغيري ممن يمقت هذه الظاهرة المشينة والعادة المسيئة بحق قيم ديننا الفاضل، ويهمه صلاح أطفاله وسمعة مجتمع، أمن واستقرار وطنه .. أتساءل: لماذا لا يُحظر استيراد أو تصنيع مثل تلك البخاخات ، ولما لا تُسحب ويُمنع بيعها في المحلات التجارية ! .. أو على الأقل لما لا يُقنن بيعها في محلات محددة وعلى وكالات وجهات معينة مرخص لها بالمملكة علما أن حتى مثل تلك الوكالات بأرجاء وطننا الكبير لم تعد تستخدم تلك البخاخات منذ أن طوتها ثورة تقنية المعلومات!.

أيعقل أن يترك الحبل على الغارب لأولئك الشواذ يلطخون ويلوثون بتلك الأداة الرخيصة كيف يشاءون حتى لو كان ذلك على حساب قيمنا ومستقبل وطننا ! .. لماذا لا تُؤخذ بالحسبان أبعاد خطرها وحجم ما تستنزفه هذه البخسة من جيوب المواطنين وحسابات الدوائر العامة والخاصة! .. أين هي مواقف الجهات المعنية والمتضررة على حد سواء حيال هذه الأداة البغيضة التي استشرى خرابها وتفشى فسادها داخل مجتمعنا ! .. قبل سنة حرمت أطفالي أكثر من مرة من نزهة في منتزه جميل بحائل بسبب عبارة قذرة وفاضحة خطها سقيم ببخاخ على صفحة جبل يُشرف على المنتزه ، وقبل يومين غيّرت أقرب مسار إلى مدرسة أطفالي كلما ذهبت أو عدت بهم والسبب أيضا جملة مماثلة لطخها بخاخ شاذ على سور جاري!..

لكون معي كثيرون .. نحن نناشد ممن يخصهم الأمر ولدينا بهم عشم كبير .. بأن يتخذوا موقفا واضحا وصريحا .. أما بسن قانون صارم لسحب ومنع بيع هذه الأداة الرخيصة المغرضة من الأسواق، عدم استيرادها أو حتى السماح بتصنيعها، أو على أقل ما نأمل به استصدار قرار بلائحة حازمة وواضحة على بيعها.. فقد أصبحت بل أمست . كما يرى أطفالنا ونقرأ بواسطتها . وسيلة متاحة لكل شاذ، مغرض وغريب .. لنشر الفساد، الرذيلة، الشر، الخراب.. وما هنالك من فتن.

لوحاتنا الإرشادية غير مرشدة!!

علي القحيص*

■ مما لاشك فيه أن اللوحات الإرشادية على الطرق باتت تشكل مع الزمن واحداً من أحد معايير السلامة والأمان والإرشاد ، بالإضافة إلى كونها مؤشراً حضاريا أيضاً، فلهذه اللوحات يعود الفضل في توفير الوقت والعناء على مستخدم الطريق، بالإضافة إلى المحافظة على سلامته، ووصوله لمقصده في الوقت المناسب.

ونظراً لأهميتها وضرورتها في البناء الحضاري، حيث توفير البنى التحتية الحقيقية للدول ،فقد اولت جميع دول العالم المتحضرة هذا الجانب اهتمامها،لاسباب كثيرة لا يغفل منها الجانب الاقتصادي أيضا، لأن الطريق الآمن والمخدم جيداً من شأنه أن يساهم في دفع عجلة الانتاج الاقتصادي، في البلاد، ويواكب نهضتها بشكل عام ويعطي مظهرا حضاريا متقدما للبد نفسه. هذه المقدمة لا نريد في الواقع من خلالها الحديث عن اللوحات الإرشادية لتبيان أثرها، لأن أحدا لا يجهل أهميتها ودورها الضروري بالنسبة للفرد والمجتمع، ولكن ما نريد التوقف عنده هو هذه الحالة المزرية التي تعاني منها طرقنا ، ولا سيما الدولية منها، خاصة وان المملكة العربية السعودية تعد دولة كبيرة ومهمة من ناحية الموقع الجغرافي، ناهيك عن أهميتها باعتبارها مقصدا للكثير من المسلمين في العالم، ولا سيما في موسم الحج والعمرة، حيث يلفت النظر غياب اللوحات الإرشادية أحيانا ، وإن وجدت فهي تحتاج لقارىء ألغاز كي يفك رموزها، كما هو الحال في الطرق بين الطائف والمدينة المنورة، او الطائف ومكة المكرمة، او غيرها من الطرق الرئيسة التي تعبرها عشرات الآلاف من السيارات المتجهة من الإمارات الى بلاد الشام او غيرها من المقاصد، وتحديدا في منطقة الأحساء، حيث تتوالد الطرق التي هي تحت الإنشاء وتعمر طويلا قبل ان تنتهي، لتخلق حالة من الإرباك لمستخدمي الطريق، وتعرضهم لجل المخاطر، لا سيما إذا عرفنا أن بعض هذه الطرق لا يوجد لها ما يشير عليها بدقة، وإن وجدت لوحات او شاخصات لذلك فعليك في بعض الاحيان ان تبحث عنها لصغرها، مما يعني أن تضيع الوقت في البحث عن اللوحة الإرشادية أو تسأل السائقين أو المارة ، قبل ان تضيعك الطريق، وهكذا نكون كمن دخل في المتاهة، فلا هو بخارج منها ، ولاهو بملاق الطريق الانسب لغايته المنشودة.

ان من المهم القول إن اللوحات الإرشادية على الطرق المرورية، تؤدي وظيفة عملية مهمة جداً، بالاضافة الى أنها أداة اتصال وتواصل رئيسية لقائدي المركبات، على اختلاف انواعهم ، سواء كانوا من المواطنين أم العابرين أم السياح الذين يحتاجون للدقة كي يتوجهوا إلى مقاصدهم بسهولة في التنقل من شارع إلى آخر، ولتعرفهم بالأماكن السياحية وببعض المناطق الأخرى ذات المسافات البعيدة، إلى جانب مراكز التسوق وأماكن الاستراحات ومحطات البترول، والمستشفيات ومخافر الشرطة وغيرها من الاماكن وتزداد أهمية اللوحات بشكل خاص على الطرق السريعة، حيث يشكل غيابها خطراً كبيراً، فضلاً عن أن نقصها داخل المدن هو سبب رئيسي للارتباك المروري ايضا.

وهنا لابد من الاشارة الى أهمية مراعاة كل الناس المستخدمين للطرق العامة، من خلال استخدام السبل الأسهل لارشاد السائقين، مثل التنبيه الى مكان المستوصف بشكل هلال مثلا، ومراكز الهاتف السريعة بواسطة رسوم او صور مناسبة، كي يستدل عليها كافة الشرائح بسهولة سواء القارىء العربية أو غيره.

ولعل من المهم التذكير هنا ان هكذا اهتمام بالطرق من شأنه ان يساهم بشكل كبير في النهضة الحضارية المتسارعة للمملكة العربية السعودية، ويعطي الانطباع الجيد للسائح والزائر وابن البلد، ناهيك عن توفير عوامل الأمان والمساهمة في توفير الوقت ايضا، حيث أن قيمة تلك اللوحات أنها تقدم خدمة مجانية لقائدي المركبات، هم بأمس الحاجة اليها في طرقنا الطويلة ومدننا الشاسعة.

ولعل ما يثير الاستغراب هنا هو وجود لوحات إرشادية تجعلك مرتبكاً، إذ تكون مختفية عن الأنظار، فلا يعود السائق يدري أين يذهب، وقد تقوده إلى الطريق الخطأ، معرضاً حياته وحياة الآخرين للخطر بتسببه حادث".ناهيك عن هدر الوقت والجهد.

واذا كنا نتحدث هنا عن دور الدولة والجهات المختصة في هذا المجال، فإنه لابد لنا من التوقف أيضا عند دور الفرد ايضا، حيث ان عدم اهتمام الفرد بهذه اللوحات، واتلافها، او الكتابة عليها وتشويهها كلها أمور من شأنها أن تغير من مضمون هذه اللوحة الإرشاية وفقدان قيمتها الموضوعة من أجله، مما يعيق حركة السائقين والمسافرين والمستخدمين لهذه الطرق، اي ان الوعي الفردي لهذه اللوحات وأهميتها أمر مطلوب أيضا ولا يقل أهمية عن دور الدولة والجهات المعنية بهذا الأمر الإرشادي، إذ أنه من الغرابة بمكان ان يختار أحدهم لوحة إرشادية للطرق لوضع لوحات لحفلات زواج او ما شابه، او وضع ملصقات إعلانية أخرى تغير ملامحها وتطمس أهميتها الإرشادية.

امور كثيرة لابد من التوقف عندها ونحن نتحدث عن اللوحات الإعلانية وكلها بالتأكيد تبدأ من وعينا بأهمية هذه اللوحات ودورها الذي يجب أن نحافظ عليه ونطوره باستمرار بما يليق ببلدنا ونهضته الحضارية المتسارعة نحو الأفضل.

*المدير الإقليمي لمكتب دبي